



لا شيء حقيقياً ينبع عن القمم والمؤتمرات الدولية والإقليمية الخاصة بسوريا، ولا تسويات فعلية تنتجهها الاتفاقيات العديدة، ولا تهدو المسألة سوى مناورات دبلوماسية بين اللاعبين، أو تحليلات متفائلة، وتوقعات تحاول الفوز بخطوات واسعة إلى الأمام على أرض رخوة.

ومع حلّ روسيا في سوريا، تم الإعلان عن عشرات التفاهمات والتسويات، وصدرت قرارات عن مجلس الأمن بهذا الخصوص، وعلى الأرض لا يوجد صدى لذلك كلّه، وما هو موجود حرب، تلك التي يسمونها الأرض المحروقة، ينبع عنها خسارة طرف وتقدم آخر، أما التسوية التي طالما جرى الحديث عنها فلن تأتي أبداً، حتى لو سكتت الجبهات ووقفت المدافع، ما يعني أن وزن السياسة صفر في هذه المعادلة، والعملية حرب ليست سياسة.

سيجري الحديث عن تسوية سياسية في سوريا ونجاحها وإنتها للأزمة، وعلى الرغم من بروز عشرات الأسئلة في مواجهة مثل هذه التسوية، إلا أنه سيجري تعريفها بوصفها تسوية التسويات في سوريا، وماذا تحتاج التسويات سوى ممثلي عن الطرفين، وستجد روسيا مئات من منصات دمشق وحميميم وموسكو وأستانة، والمرأة والمجتمع المدني، وربما منصات لم نسمع بها، لتعتبرهم ممثلي الشعب السوري، لن يحاسبها أحدٌ على معايير السورنة الخاصة باختيارها سوريين يمثلون شعبهم واستبعادها آخرين.

لكن، هل بين هؤلاء من يمثل اللاجئين في لبنان والأردن وتركيا، وهم يشكلون أكثر من ربع السوريين؟ أو هل بينهم من يمثل أبناء الأحياء المدمرة في دمشق وحلب وحمص وحماة وإدلب ودير الزور والرقة والقنيطرة، وأرياف هذه المدن، أولئك من يسمونهم نازحي الداخل، وعددهم يساوي ثلث سكان سوريا؟ وهل بينهم من يمثل أهالي القتل والمعتقلين والمفقودين والمعاقين، ومجموع هذه الفئات، وفق تقديرات متحفظة، يتجاوز مليونين؟ هل يوجد ضمن وفد المرأة واحدة اغتصبت في

سجون الأسد، لتمثل المغتصبات الالاتي يقدّرن بالآلاف.

وإذا لم تطرح قضايا هؤلاء، ولم يكونوا ممثلين في هيئات التفاوض، ولن يكونوا، فإن أي تسوية ستحصل في سوريا ستكون مجرد كذبة، أو بلغةً أدق، ستكون على مقاسات فلاديمير بوتين ووزير خارجيته سيرغي لافروف، اللذين يعتبران كل معارض ليشار الأسد إرهابيا، ويعقدان التسويات مع فصائل المعارضة، ويوقعان معهم على التفاهمات، وبعد أقل من ساعة يصفانهم بإرهابيين، من دون تبرير كيف لدولة عظمى عقد اتفاقيات وتفاهمات مع إرهابيين، وما بنود تلك الاتفاقيات وعناصرها؟

أما المشهد الذي يجري العمل على إنتاجه، على خلفية قمة هلسنكي وأخواتها، فهو مجرد فانتازيا غير مسلية، بإعاد إيران عن حدود "إسرائيل" أو بقاءها، بعد أن صارت أهداف إيران ورائها، القضاء على ثورة الشعب السوري، ولو كانت تريد مهاجمة إسرائيل لفعلت ذلك منذ عشرين سنة وأكثر، فهي موجودة في سوريا قبل تاريخ الثورة بكثير، وتملك حرية حركة كاملة، ولديها تأثير كبير على صناعة القرار في سوريا، ثم إن سوريا كانت ضمن مدار حلف الممانعة، حين كان ذلك الحلف يبحث عن طريق للوصول إلى القدس .

من المضحك المبكي، معا، أن المسألة السورية يجري اختصارها بحجم المسافة التي يجب أن تبتعد فيها إيران عند الحدود السورية. ولكن ماذا عن ملايين السوريين الذين سحقتهم آلة الموت، وماذا عن الذين ستنتفق منهم أجهزة نظام الأسد، بينما تنتهي روسيا من تجريدهم من وسائل الدفاع عن أنفسهم، قبل الحصول على تسوية منطقية؟

تحاجج الدبلوماسية الروسية بأن بوتين لا يستطيع إخراج الإيرانيين من سوريا، لانه لا يستطيع فرض الأمر على إيران وسوريا، إذاً لماذا دخل اللعبة "العملية" من الأساس: هل لأنه يستطيع أن يفرض على السوريين احتلال إيران لهم، وعبثها بتتركيبتهم الديمografية وتوازناتهم المذهبية، وما دامت المطالبة بإخراج إيران من كامل سوريا أمراً غير منطقي، حسب لافروف، فهل فرض تسوية ليس فيها ملامح عدالة أمر منطقي؟

ليس صعباً تصوّر بقية السيناريو من هذه المؤتمرات والقمم واللقاءات، ستبقى إيران في سوريا، وسيستنزف بوتين مفاوضيه من الإسرائييليين والأميركيين بعد الأمطار التي ستبتعد فيها مليشيات إيران عن حدود الجولان، وستستمر إسرائيل بضربياتها الجراحية إلى حين تجد إيران وسيلة لتمويله وجودها في سوريا، وشيئاً فشيئاً تصبح الضربات الإسرائيلية من ذكريات الماضي، ويعلن ترامب أن انسحابه من سوريا صار مستحفاً بعد زوال الخطر الإيراني .

وحقيقة الأمر أن كل ما يجري مناوراة لإعادة تاهيل الأسد ونظامه، لكن الأطراف تبحث عن ذريعة للتخلص من عقابيل الأزمة، والخروج من حال الانسداد التي تراوح فيها أزمات كثيرة، وهي أوهام يمني الطرف المقابل لروسيا نفسه فيها، عبر الاعتقاد أن الحل في سوريا سيكون مفتاح حلول أزماتٍ كثيرة، وأن السماح لبوتين بتحقيق اختراق في الأزمة السورية سيجعل حصول ذلك ممكناً في أزمات أوكرانيا والتسلح النووي، وغيرها من الأزمات .

غير أن هذا النمط من الحلول ولاد لأزمات لن تنتهي، ستخدم مدافع الحرب السورية، وستعتمد تعبيرات الاعتراض الشعبية، وتتراجع إلى مجرد اعترافات مكتوبة ومحنة في الصدور، لكن ذلك ليس مؤشرًا على نهاية أزمة قدّفت ملايين من البشر في أتون حرقه كبيرة، ولم تتوفر حلولها رافعةً لإخراج هؤلاء من الجحيم .

المصادر:

العربي الجديد